" وظائف العسكريين المماليك في مكة المكرمة في عصر المماليك الجراكسة "

(٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)

Mamluk military jobs in Mecca

in the Circassian Mamluk era

(٧٨٤-٩٢٣ AH / ١٣٨٢-١٥١٧ CE)

✍ إعداد الباحثة

نادية عابد محمد العدواني

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى/ مكة المكرمة / المملكة العربية السعودية

وظائف العسكريين المماليك في مكة المكرمة في عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)

نادية عابد محمد العدواني
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى- مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية
البريد الاليكتروني : nadui-ab06@hotmail.com

الملخص :

تهدف هذه الدراسة لإبراز وظائف فئة هامة وفدت على المجتمع المكي في العصر المملوكي الثاني وهي فئة العسكريين المماليك الذين كانت ترسلهم السّلطة بمصر لمكة المكرمة – ولفترة مؤقتة– للقيام بمهام يكلفون بها؛ سواء كانت مهام أمنية، أو معمارية، أو إدارية وغيرها، وبعد إتمام مهامهم يعودون للقاهرة، وغالباً ما كان يأتي هؤلاء العسكريون في مواسم الحج والعمرة والمواسم التجارية، ومن العسكريين –أيضاً– فئة كانت وظيفتهم مختصّة بالجانب الأمني في مكة المكرمة، وكانوا يعملون تحت قيادة أمراء مكة، وكانوا يشكلون جزءاً من قواتهم العسكرية، ويقاتلون مع الأشراف في حروبهم، وكذلك يسهمون في حفظ الأمن بمكة المكرمة، كما تعمد هذه الدِراسة إلى بيان فئات العسكريين المماليك الوافدين لمكة، والوظائف التي تولوها، ونماذج من العسكريين الذين تولوا الوظائف في مكة وكيفية تعيينهم، وما كانوا يتمتعون به من مكانه اجتماعية؛ فضلاً عن دورهم في مختلف النواحي في مكة المكرمة السياسية منها والاقتصادية والدينية والإدارية وغيرها.

الكلمات المفتاحية: وظائف– العسكريين المماليك– مكة المكرمة– عصر المماليك الجراكسة.

Mamluk military jobs in Mecca in the Circassian Mamluk era(٧٨٤-٩٢٣ AH / ١٣٨٢-١٥١٧ CE)

Nadia Abed Mohamed AL-adwani
Umm Al-Qura University / Mecca / Saudi Arabia
Email: nadui-ab06@hotmail.com

Abstract :

This study aims at highlighting the functions of an important group that was sent to the Meccan society during the second Mamluk period, namely the Mamluk military who were sent by the Egyptian authority to Makkah for a temporary period to carry out their assigned tasks, whether they were security, architectural, administrative and other tasks. They often came in the seasons of Hajj, Umrah and commercial seasons, and from the military, also a group whose job was specialized in the security aspect in Makkah, they were working under the command of the princes of Mecca, they were part of their military forces, and they fight with the supervisors in their wars , And They also contribute to the maintenance of security in Makkah, This study also explains the categories of the Mamluk military arrivals in Mecca, the jobs they held, the models of the military who took jobs in Mecca and how they were appointed, and what they enjoyed from the social position;

key words: Careers, Mamluk military, Mecca, The era of the Circassian Mamluks

شكر وتقدير

اشكر الأستاذ الدكتور/ عدنان الشريف
على ما تفضل به من مراجعة البحث
وتعديل العنوان فله جزيل

الشكر والتقدير وجزاه اللّه خيراً

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

مما تميزت به الدولة المملوكية أنها دولة كانت قائمة على الحكم العسكري؛ حيث كان سلاطين المماليك في الأصل من كبار أمراء الجيش يختارهم الأمراء من بينهم، وكان هؤلاء يصلون إلى القاهرة صبياناً نتيجة للأسر في الحرب، أو الشِراء من التجّار، أو هدايا من دول صديقة أو حليفة، أو رسماً مقرراً على دولة خاضعة، وفي القاهرة كانوا يخضعون لتربية دينية وأخرى عسكرية حتى ينتهي تدريبهم فينتقل المملوك من مرتبة لأخرى حتى يتحرر ويصبح من الأمراء، ويسمح له بامتلاك عدد من المماليك يتناسب مع درجته أو مرتبته.[1]

ولما كان السلاطين المماليك ممن تولى الوظائف العسكرية فإن ذلك كان له أكبر الأثر على سياستهم في التعيين في الوظائف، لاسيما في مكة المكرمة التي كانت تتمتع بمكانتها العظمى في العالم الإسلامي، وكانت تابعة للحكم المملوكي آنذاك؛ من أجل ذلك فقد حرص سلاطين المماليك على أن يتولوا التعيين والعزل في الوظائف فيها لاسيما الوظائف العليا، وكان من سياستهم في التعيين إسناد بعض الوظائف الدّينية أو الإدارية أو التجارية –فضلاً عن العسكرية– لأمراء مماليك عسكريين بمختلف الرتب، على الرغم من أن طبيعة هذه الوظائف تتطلب أن يكون صاحبها على قدر كبير من العلم كالوظائف الدينية، أو ذا معرفة بالجانب الإداري كالوظائف الإدارية، أو ذا معرفة بالجانب التجاري، ولا تتطلب أن يكون متوليها من العسكريين، وقد ظهر ذلك جلياً في العصر المملوكي الثاني الذي شهد ازدهار جدة الميناء الرئيس لمكة المكرمة وازدياد أهميتها حيث أصبحت جدة تحقق عوائد مالية للدولة المملوكية[2]؛ فكانت

---

١ (إسرائيليان: أرتور، (د.ت)، ص٦١): وظائف العسكرية بمصر في العصور الوسطى، (عاشور: عبد الفتاح ،(د.ت)، ص١٤): الظاهر بيبرس

٢ الكثيري، فاطمة (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م). " الوظائف السياسية والإدارية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي "، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية، ص٨١

السُلطة تُرسل هؤلاء العسكريين لحفظ الأمن، ولفرض سيطرتها على مُختلف النواحي في مكة؛ فتوليهم مهام مؤقتة: أمنية، أو معمارية، أو إدارية، ثم يعود هؤلاء العسكريون بعد ذلك للقاهرة بعد إتمام المهام المُوكلة إليهم، واستمر ذلك إلى نهاية العصّر المملوكي.

مشكلة الدراسة:

تتمثل المشكلة الرئيسية في قلة الدراسات التي ألقت الضوء على فئة العسكريين المماليك الذين كانوا متواجدين في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي الجركسي، وغالباً ما تتناول هذه الدراسات ما كان مرتبط بالجانب الأمني والاستعانة بهم في القضاء على النزاعات بين الأشراف وغيرهم، أما ما يتعلق بالجانب الوظيفي، فبحسب إطلاع الباحثة فإنها لم تجد دراسة انفردت بتناول هذا الجانب إلا ما كان من إشارات متفرقة في بعض البحوث والمراجع.

أسئلة الدراسة:

- ماهي فئات العسكريين التي وفدت إلى مكة المكرمة خلال العصر المملوكي الجركسي؟
- الوظائف التي تولاها هؤلاء العسكريين في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي الجركسي ؟
- ما مدى إسهامهم ومشاركتهم في المجتمع المكي؟
- السلبيات المترتبة على وجود هؤلاء العسكريون في مكة المكرمة؟

أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة إلى التعريف بفئات العسكرين الوافدين إلى مكة خلال العصر المملوكي الجركسي.
- الكشف عن الوظائف التي تولاها العسكريين المماليك في مكة وبيان أن وظائفهم لم تكن مقتصرة على الوظائف المتعلقة بالجانب الأمني.
- بيان ما كان يتمتع به هؤلاء العسكريون من مكانة سواء لدى الأشراف أو لدى السلطة مصر.

- بيان استحداث عدد من الوظائف العسكرية وكذا الوظائف المدنية التي تولاها العسكريين ليتناسب مع الاوضاع الاقتصادية في مكة المكرمة التي أخذت في الازدهار الاقتصادي خلال العصر المملوكي الجركسي وذلك لما شهده ميناء جدة الميناء الرئيس لمكة من ازدهار آنذاك.
- بيان مصادر دخل هؤلاء العسكريون الوافدون لمكة وما كان يتمتع به بعضهم من الثراء.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من خلال الموضوع الذي يتناوله آلا وهو: وظائف العسكريين المماليك في مكة المكرمة خلال عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م) حيث تناولت هذه الدراسة جانباً هاماً لفئة هامة وفدت على المجتمع المكي وأقامت به لفترات مؤقتة وهو الجانب الوظيفي لهؤلاء العسكريون والذين غالباً ما كانت ترسلهم السلطة للقيام بمهام أمنية ومعمارية وتجارية، ثم لا تلبث أن تضيف إليهم عدد من الوظائف الدينية أو الإدارية أو العسكرية.

حدود الدراسة:

تتضح حدود الدراسة من خلال الضوابط التالية: **الموضوع: وظائف العسكريين المماليك في مكة المكرمة في عصر المماليك الجراكسة(٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م) المدة الزمنية:** تتمثل في عصر المماليك الجركسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م) **ويشمل الإطار المكاني:** منطقة مكة المكرمة.

منهجية البحث:

تعتمد هذه الدراسة على منهج البحث التاريخي والمنهج التحليلي، مع الحرص على الترابط والتفسير التاريخي للأحداث، وصياغة الحقائق والأحداث بشكل علمي، للوصول إلى النتائج والحقائق المرجوة من هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

تأتي في مقدمتها كتب المصادر لاسيما المتعلقة بالتاريخ المكي والتي تتضمن أخبار متفرقة لوجود هؤلاء العسكريين في مكة المكرمة فضلاً عما تتضمنه مراسيم تعيين وعزل هؤلاء العسكريين وإقرارهم على وظائفهم أو إضافة وظائف لهم وغيرها من الأخبار المتعلقة بهم، فضلاً عن ذلك فقد تناولت بعض الدراسات الحديثة هؤلاء العسكريون المتواجدون في مكة خلال العصر المملوكي ومن هذه الدراسات بحثين لدكتور عدنان الشريف الأول بعنوان أتراك الشريف بمكة من مطلع القرن ٨هـ/١٤م حتى نهاية القرن ١٠هـ/١٦م، تناول فيه أحد الفرق العسكرية ذات التأثير الواضح في تاريخ مكة خلال الفترة المملوكية وهي فئة أتراك الشريف وهم من فئة الأجناد، وجاء فيه التعريف بهذه الفرقة وبداية ظهورها والمهام التي يقوم بها أفرادها والتي ترتكز في الغالب على المهام المرتبطة بالجانب الأمني وغيرها من المهام، والبحث الثاني كان بعنوان وظيفة الأمير الراكز في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي والتي ألقت الضوء على طبيعة هذه الوظيفة وكيف أن صاحبها كان يعيين بمرسوم من السلطان بمكة، كما تهدف الدراسة إلى التعريف بشخصيات من تولوا هذه الوظيفة والمهام المنوطة بهم وغيرها من التفصيلات المتعلقة بهذه الوظيفة. وتختلف هاتين الدراستين من حيث التركيز على فئات محددة من هؤلاء العسكريين وهي فئة أتراك الشريف كما في البحث الأول، وفئة الأمير الراكز كما في البحث الثاني، في حين أن هذا البحث يركز على وظائف العسكريون الوافدون على مكة المكرمة.

ودراسة للدكتورة ليلى عبد المجيد كانت بعنوان " القوات الحربية في مكة المكرمة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ٥٧٠-٩١٣هـ/١١٧٤-١٤١٧م" وقد تناولت هذه الدراسة القوات الحربية المحلية والوافدة بالتفصيل، إلا أن موضوع هذه الدراسة مختلف عما يتناوله هذا البحث، فهذا البحث الذي يتناول وظائف العسكريين الوافدين إلى مكة اللذين كانت ترسلهم السلطة بمصر للقيام بمهام معينة.

هذا وقد وردت إشارة متفرقة عن هؤلاء العسكريون ووظائفهم بمكة في عدد من الرسائل العلمية منها رسالة بعنوان الوظائف السياسية والإدارية في مكة خلال العصر المملوكي لفاطمة الكثيري حيث جاء فيها التفصيل في وظيفة عسكرية

هامة في مكة المكرمة لا سيما في العصر المملوكي الجركسي وهي وظيفة الأمير الراكز، كما جاء فيها إشارات لتولي بعض العسكريين للوظائف الدينية كالحسبة أو الإدارية كنظر الحرم، وكذا رسالة بعنوان الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي لشريع الشهري والتي تناول فيها بشيء من التفصيل وظيفة الأمير الراكز، كما جاء ذكر العسكريون المماليك في رسالة بعنوان " الرسوليون والمماليك في الحجاز ٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م" لحسن محمود مقابلة حيث ورد فيها الحديث عن وظيفة شاد العمائر، وكذا عن الوظائف العسكرية حيث جاء فيها الحديث عن فرق عسكرية كانت ترد من مصر إلى الحجاز لتهدئة الأوضاع الامنية فيها عند نشوب نزاع بين الأشراف أو الأمراء وأمراء الحج أو عند تعيين أمير جديد لمكة أو المدينة مدعوماً من سلطان المماليك بمصر.

خطة البحث:

قد اقتضت طبيعة البحث التعريف بفئات العسكريين المماليك الوافدين إلى مكة، والوظائف التي تولوها، وإدراج نماذج من العسكريين اللذين تولوا الوظائف في مكة، وكيفية تعيين هؤلاء العسكريين، وبيان المكانة الاجتماعية هؤلاء العسكريين، وبيان دور هؤلاء العسكريين في مختلف النواحي في مكة المكرمة السياسية منها والاقتصادية والدينية والإدارية وغيرها.

أما عن فئات العسكريين المماليك الوافدين إلى مكة المكرمة فقد كان هؤلاء العسكريون في ذلك الوقت ينقسمون إلى فئتين: أمراء على أربع طبقات؛ الطبقة الأولى: أمراء المئين مقدمو الألوف، وعدة كل منهم مائة فارس. والطبقة الثانية أمراء الطبلخاناه، وعدة كل منهم –في الغالب– أربعون فارساً، وقد يزيد بعضهم على ذلك إلى سبعين فارساً أو ثمانين فارساً، ولا تكون الطبلخاناه لأقل من أربعين فارساً. والطبقة الثّالثة من أمراء العشرات، وعدة كل واحد منهم عشرة فوارس، وربما كان فيهم من له عشرون فارساً، ولا يعد إلا في أمراء العشّرات، وهذه الطبقة لا ضابط لعدد أمرائها؛ بل تزيد وتنقص، ومن هذه الطبقة يكون صغار الولاة ونحوهم من أرباب الوظائف. والطبقة الرابعة أمراء الخمسات، وهم

أقل من القليل خصوصاً بالديار المصّرية، وأكثر ما يقع ذلك في أولاد الأمراء المندرجين بالوفاة رعاية لسلفهم، وهم في الحقيقة كأكابر الجنود.

أما النوع الثاني فالأجناد، وهم على طبقتين؛ الطبقة الأولى: المماليك السّلطانية، وهم أعظم الأجناد شأناً، وأرفعهم قدراً، وأشدهم للسّلطان قرباً، وأوفرهم إقطاعاً، ومنهم تُؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة، وهم في العدة بحسب ما يؤثره السلطان من الكثرة والقلة. والطبقة الثّانية: هم أجناد الحلقة، وهم عدد جم وخلق كثير، لكل أربعين نفساً منهم مقدم منهم، ليس له حكم عليهم إلا إذا خرج العسكر كانت مواقفهم معه، وترتيبهم في موقفهم إليه.[1]

وفيما يتعلق بوظائف العسكريين في مكة المكرمة أما عن فئة الأمراء العسكريين فقد كانت ترسلهم السلطة إلى مكة المكرمة بمختلف رتبهم لتولي الوظائف، أو للقيام بمهام مؤقتة ثم يعودون لبلادهم بعد إتمام المهام الموكلة إليهم، ومن أهم الوظائف التي أُضيفت للعسكريين المماليك الحسبة؛ فقد كانت في العصر المملوكي الثاني مضافة لباشية مكة، حيث تقلد عدد من الأمراء الأتراك منصب الحسبة منذ عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، فكان مقدم المماليك السلطانية المجاورين بمكة – للمحافظة على الأمن فيها- يجمع بين باشية أو إمارة أو مشيخة المجاورين حتى أيام السلطان الغوري[2]، وبالتحديد إلى ربيع الآخر سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م؛ حيث فصلت الحسبة عن الباشية – باشية مكة- فأصبح السلطان يعين أميراً من المماليك ليتولى الباشية، كما كان يقرر أميراً آخر من أرباب السيوف -أيضاً- للنظر في الحسبة بمكة[3]، وكذا وظيفة ناظر الحرم التي كانت تسند -في الغالب- للقضاة؛ إلا أنها في بعض الأحيان أسندت لأمراء

---

١ (القلقشندي، ١٣٤٠هـ/١٩٢١م،ج٤، ص١٥، ١٦): صبح الأعشى

٢ قانصوه الغوري هو الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين، بويع بالسلطة سنة ٩٠٦هـ/١٥٠١م، وقتل سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م،ابن عماد: شذرات الذهب، ج٨،ص١١٣

٣ (ابن إياس،١٤٠٤هـ /١٩٨٣م، ج٤، ص٤٥٥): بدائع الزهور ، الحسن، سعاد، (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م). "النشاط التجاري النشاط التجاري في مكة المكرمة في العصر المملوكي "، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ص٢٩٣

عسكريين من أمراء العشرات أو الأمراء الراكزين[١]؛ إضافة لوظيفة نظر جدة، وهي من الوظائف الهامة التي استحدثت في العصر الأيوبي واستمرت حتى العصر المملوكي[٢]، وكان التعيين فيها من قِبل الأشراف حتى عصر السلطان برسباي سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م؛ فقد أصبحت نظر جدة وظيفة سلطانية يخلع على متوليها[٣]؛ حيث عظم أمر ميناء جدة الذي يجلب منه لدولة المماليك الرسوم[٤]والعشور[٥]والمكوس[٦]المفروضة على السفن التجارية؛ مما جعل السلاطين المماليك يهتمون بهذا الثغر ويولّون عليه نائباً عن السلطة شريطة الولاء، كما كان من مهامه إلزام التجار بدفع رسوم إضافية كانت تدفع رواتب للموظفين الذين كانوا يساعدون ناظر جدة في عمله؛ مثل: الشاد، والصيرفي[٧]،

---

١ (ابن فهد، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٦٤٣، ٧٦٣): الدر الكمين، (السخاوي، ١٤١٢هـ/١٩٩١م،ج٤، ص١٠): الضوء اللامع، السالمي، عبد الحفيظ.(١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)." الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي "، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية،ص٢٠٥،باز، عبد الكريم (١٤١١هـ). "ناظر الحرم في العصر المملوكي". مجلة جامعة أم القرى ،ص١٦٤

٢ مقابله، حسن. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)." الرسوليون والمماليك في الحجاز"، رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة اليرموك، الأردن، ص٧٢

٣ (ابن فهد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ج٢، ص٥٦٥) : بلوغ القرى.

٤ الرسم: جُعل – ضريبة- تفرضه الدولة للقائمين على بعض أعمالها ،ويكلف صاحب العلاقة بتأديته، دهمان، محمد، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٨٢):معجم الألفاظ التاريخية.

٥ العشور هي الضرائب المفروضة على أموال التجارة الصادرة من البلاد الإسلامية والواردة إليها، (الجوعاني، محمد ،(د.ت)، ص٤٤٩) ضوابط التجارة في الاقتصاد الإسلامي.

٦ المكس ضريبة يأخذها المكاس ممن يدخل البلد من التجار والفلاحين على البضائع القادمين بها، جمعها: مكوس، (الخطيب، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٤٠٦):معجم المصطلحات

٧ الصيرفي هو الذي يعمل على استبدال العملات الخاصة بالتجار الأجانب القادمين إلى الحجاز، كي يتيسر لهم استبدال العملات الخاصة بهم بعملات الحجاز السائدة في تلك الفترة، وتعد الصيرفة من وظائف كتاب الأموال، فهو الذي يتولى قبض الأموال وصرفها، وهو مأخوذ من صرف الذهب والفضة، وكان يقال له الجهبذ، الضيف، هند. (١٤٣٨هـ/٢٠١٦م) ."أسواق الحجاز في العصر المملوكي"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى، =

والقباني[1]وغيرهم من الأعيان[2]، وأطلق على هذا النائب ناظر جدة أو ناظر الخاص[3]، وكان يُعيّن في هذه الوظيفة كبار الموظفين المدنيين وخاصة القضاة، واستمر الأمر كذلك حتى عام ٨٣٦هـ/١٤٣٢م؛ حيث أصبح يتولاها أحد الأمراء المماليك[4]. ووظيفة شاد العمائر وصاحب هذه الوظيفة من أمراء العشرات، وكان يتولى الإشراف على العمائر السلطانية، وينفذ رغبة السلطان فيما يُحدث أو يُجدّد من المنازل أو القصور والأسوار والمساجد وغير ذلك[5]، فيأتي صاحب هذه الوظيفة من بلاده مؤقتاً للقيام بالعمارة المطلوبة[6]، وغالباً ما يأتي قبل الحج وذلك للعمارة وترميم ما يحتاج إلى ذلك،[7]وفي بعض الأحيان يتأخر إلى ما بعد رحيل الحاج إذا طرأ عمل يدعو إلى ذلك كما حدث في سنة ٨٠٣هـ /١٤٠٠م عندما رسم السلطان لبيسق الشيخي[8]أمير الركب الأول أن يقيم بعد الحج ليتولى عمارة

=مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية ،ص١٦٦، (السليمان، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م، ص١٠٩)جدة في العصر المملوكي.

١ القباني نسبة إلى القبان وهو نوع من الموازين اشتهر بالدقة في تقدير الوزن، (باشا،(د.ت)، ج٢،ص٨٩١): الفنون الإسلامية.

٢ (ابن فهد،١٤٠٨هـ/١٩٨٧م،ج٣،ص٨٠): إتحاف الورى، حسن مقابله: الرسوليين والمماليك في الحجاز، ص ٧٢

٣ الفعر، محمد." مرسوم نائب جدة جاني بك الجركسي مؤرخ بسنة ٨٦٣هـ"ـ جامعة أم القرى،ص١١٠

٤ (السيد، ١٩٩١م، ص٨٠): الحياة الاقتصادية في جدة

٥القلقشندي: صبح الأعشى،ج٤،ص٢٢،(العمايرة،١٤٣٢م/٢٠١٠م، ص١٧٨): المعجم العسكري، حسن باشا: الفنون الإسلامية ج٢،ص ٦١٦

٦(ليلى،١٤٣١هـ/٢٠٠٩م، ص٢٧٨): التنظيمات المالية والإدارية، (المباركي، فاطمة. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). "الوظائف في الحرم المكي في العصر المملوكي" ،رسالة ماجستير منشورة، كيلة الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ص ١٢٧

٧ حسن مقابله: الرسوليين والمماليك في الحجاز،ص٧٥

٨ بيسق الشيخي: أمير أخور الظاهري برقوق، مات بالقدس بطالاً في جماد الأخرة سنة ٨٢١هـ /١٤١٨م،وكان الناصر قد نفاه إلى بلاد الروم وقدم في الدولة المؤيدية فلم يقبل المؤيد عليه ثم نفاه إلى القدس، وله أثار بمكة كعمارة الرواق الغربي للمسجد الحرام، وكان كثير الشر شرس الخلق جماعاً للمال مع البر والصدقة وتأمر على الحاج، السخاوي: الضوء اللامع،ج٣،ص ٢٢

ما احترق من المسجد الحرام[1]، كما كان من مهام شاد العمارة متابعة أعمال المهندسين والبنائين والعمال والإشراف عليهم وصرف مرتباتهم[2]، وتعد وظيفة شاد العمارة مكملة لوظيفة ناظر الحرم؛ حيث إن ناظر الحرم عليه الإشراف على الإصلاحات المتعلقة بالحرم أو الكعبة أو المشاعر من بناء أو ترميم أو تعمير، ووظيفته مختصة بالجانب الإداري؛ بينما شاد العمائر يقوم بعمارة ما يشير إليه ناظر الحرم مما يحتاج إلى إصلاح، ويقوم الشاد بذلك بمرسوم من السلطان؟[3]ووظيفة شاد[4]جدة التي تعد –أيضاً– من الوظائف الوافدة التي استُحدِثت في العصر المملوكي، ويطلق على متوليها شاد جدة أو شاد ديوان جدة، ويتولى صاحب هذه الوظيفة استخلاص ما يتقرر على الطوائف والأفراد من المعاملات المالية من حيث التحصيل والصرف، كما يطلق "شاد" على الشخص الذي يُفتّش على الدواوين ويُراجع حساباتها، ويتحتم على متولي هذه الوظيفة أن يتوجه كل عام إلى جدة حيث لابد له من الحضور في موسم الهندي[5]، وكذا في مواسم العمرة والحج؛ حيث تصل مراكب الحجاج والمعتمرين وكذا قوافل التجار من شتى أنحاء العالم الإسلامي[6]، فكان يأخذ العشور من التجار، ويضيق على أمير مكة المكرمة وعلى التجار فيأمر التجار بعدم السفر إلى الشام والسير إلى مصر مع الحجاج لأخذ المكس من الجميع، وكان مقدار

---

١ ابن فهد: بلوغ القرى، ج٣،ص ٤٢٣

٢ فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ١٣٠

٣ ليلى عبد المجيد: التنظيمات الإدارية والمالية، ص ٢٧٨،فاطمة المباركي: الوظائف في الحرم المكي، ص ١٢٤، الطاسان، محمد. (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)."الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد دولة المماليك " مجلة العصور:٥(٢):ص٣٠٥

٤ والشاد من شد الدواوين أي فتشها وضبط حسابتها، والشاد هو المفتش تضاف الكلمة لإسم الوظيفة مثل اسم شاد الزكاة، وشاد الأوقاف أي ناظر الأوقاف أو مديرها، محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٩٥،مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية،ص٢٦٥

٥ موسم الهندي يبدأ من شهر جمادى الأولى إلى أواخر شهر رجب من كل عام وقد يمتد إلى شعبان، علي السيد: الحياة الاقتصادية في جدة ،ص٨٢

٦ علي السيد: الحياة الاقتصادية في جدة ،ص٨٢، (السليمان، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ١٥٨): العلاقات الحجازية المصرية .

المكس الذي يؤخذ من التجار ١٠% من قيمة ما يحملونه معهم من البضائع، وكانت هذه المكوس من نصيب شريف مكة المكرمة، وهو الذي يشرف عليها؛ لكن تغير الوضع في عهد السلطان برسباي، وصار السلطان المملوكي شريكاً له فيها[١]. ووظيفة الأمير الراكز وهو رئيس العسكر وقائدهم[٢] من الوظائف الهامة التي استحدثت في العصر المملوكي زمن الظاهر بيبرس وتحديداً سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، وكان يتولاها أحد أمراء المئات، أو أمراء العشرات، أو أمراء الطبلخاناه[٣]، وأضحت هذه الوظيفة في العصر المملوكي- تحديداً في العصر الجركسي- يقيم صاحبها بصفة دائمة في مكة، ويكون عوناً وسنداً لشريف مكة في تثبيت سلطانه وحكمه، ويساعده في إدارة البلاد واتخاذ التدابير والقرارات اللازمة، ويمنع الاقتتال بين الأشراف على شرافة مكة، وكذا المساعدة في تأديب الخارجين[٤]، وكان صاحب هذه الوظيفة يأتي من مصر بقواته، وكانت قواته صغيرة حيث كان يترأس مائة من الأجناد مرافقاً لركب الحاج، وإذا استبدل بآخر يغادر الأول مع الحاج، فقد أدركت السلطة المملوكية ضرورة وجود قوات حربية مملوكية تقيم بمكة بصفة دائمة للحفاظ على أمنها، وليست مؤقتة تعود بعد إنهاء الاضطرابات؛ لذلك تسمّى أمير الترك "بالأمير الراكز" إشارة إلى الإقامة الدائمة بمكة؛ فإن غادرها أمير الترك لابد أن يكون وصل أمير آخر يحل محله، واستمرت حتى نهاية العصر المملوكي[٥]. ومن أصحاب الوظائف العسكرية الذين وفدوا على مكة من يمكن أن نطلق عليهم الأعوان والأجناد التابعين للأمراء العسكرين، ومنهم المباشر وهو الموظف الذي كان يكلف بإدارة الأعمال

١ علي السيد: الحياة الاقتصادية في جدة،ص٨٠، قيسي، عائشة.(١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م)." تجار الحجاز تجار الحجاز ودورهم في العصر المملوكي". رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب والعلوم الأنسانية ،جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية، ص١٠٧

٢ فاطمة الكثيري: الوظائف السياسية والإدارية، ص٥٥

٣ ابن فهد: الدر الكمين،ص٦٤٣،ابن فهد: بلوغ القرى،ج٣،ص١٨٤٥، الشريف، عدنان. (١٤٣٤هـ/٢٠١٢م." وظيفة الأمير الراكز في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ". مجلة جامعة أم القرى، العدد السابع و الخمسون، ص١٩٩

٤ عدنان الشريف: الأمير الراكز،ص٢٠١

٥ فاطمة الكثيري: الوظائف السياسية والإدارية،ص٥٩،عدنان الشريف: الأمير الراكز،ص٢٠١

والإشراف على تنفيذها، وإجراء المبيعات والمشتريات المتعلقة بها، واستخدام عمالها، ويطلق على الموظفين بالدواوين مسمى مباشرين[١]، كما أطلق مسمى المباشرين على الموظفين الإداريين الذين كانوا يتولون وظائف متنوعة تتعلق بديوان جدة؛ من ناظر، وشاد، ومباشر[٢]، ويُعين المباشرون بمرسوم سلطاني يتضمن الإخبار بمجيء المباشرين، وخلعه للأمير والقاضي[٣]؛ هذا وقد ورد ذكر هؤلاء المباشرين في أواخر العصر المملوكي من ضمن أعوان الأمير الراكز إلى جانب الخازندار[٤]، والدوادار[٥]، والمقدم[٦]، وكانوا يتبعون للأمير الراكز، ويتولون تنفيذ أوامره، وتحقيق المهام الموكلة إليه من قبل السلطان أو الشريف حاكم مكة المكرمة،[٧] كما ورد ذكر الدوادار كأحد أعوان شاد جدة في سنة

١ حسن باشا: الفنون الإسلامية ،ج٣،ص٩٨٢

٢ علي السيد: الحياة الاقتصادية في جدة ،ص ٨١،سلوى السليمان: جدة في العصر المملوكي ،ص ١٠٨

٣ ابن فهد : إتحاف الورى،ج٤،ص٥٤١

٤ الخازندار: لفظ مكون من كلمتين الأولى خزانة العربية، ودار الفارسية بمعنى ممسك، والمعنى الكلي الموكل بالخزانة والمتولي أمرها، وهو لقب للذي يتحدث عن خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما، حسن باشا: الفنون الإسلامية،ج١،ص٤٥٣،محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٦٨

٥ الدوادار: لقب لموظف من العهد المملوكي يطلق على الذي يحمل داوة السلطان ويتولى وظيفة الدوادارية التي تتعلق بنقل الرسائل والأوامر السلطانية، وعرض البريد والقصص، وأخذ الخط السلطاني على عامة المناشير والأحكام وتنفيذها، مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألفاظ، ص١٥٦

٦ المقدم: يرد في المصادر لدلالة على مقدمي الألوف من الأمراء، أو لدلالة على مقدم العسكر أو الجيش المتوجه للقتال، أنور زناتي: معجم مصطلحات التاريخ والحضارة، ص١٥٠،محمد العمايرة: المعجم العسكري، ص٢٩١،والمقدم مرتبة وظيفية مرموقة، ظهرت منذ العصر الأيوبي، قد يكون صاحبها من العسكريين، وقد يكون من الموظفين الكبار المتميزين باعتبارات خاصة، وقد يضاف لهذا اللفظ اسم الوظيفة فيقال مقدم التركمان، أو مقدم الخاص، مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب، ص٤٠٣،

٧ عدنان الشريف: الأمير الراكز، ص٢٢٣

٨٥٠هـ/١٤٤٦م،[١] وذكر -أيضاً- الدودار من ضمن أعوان نائب جدة سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م.[٢]

وكان العسكريون المماليك المتولّون للوظائف في مكة المكرمة -كما ذكرنا آنفاً- أمراء بمختلف الرتب العسكرية ترسلهم السُلطة لتولي الوظائف بمكة، ولم تقتصر السُلطة في تعيينهم على الوظائف العسكرية؛ بل معظم هؤلاء العسكرين -إن لم يكن كلهم- كان يتولون وظائف أخرى إلى جانب وظائفهم: دينية، أو إدارية، أو معمارية، أو تجارية؛ فضلاً عن ذلك فإن من العسكريين من أسندت إليه إلى جانب وظيفته وظائف متعلقة بالتجارة لاسيما في مدينة جدة الميناء الرئيس لمكة المكرمة، ومن أمثلة العسكريين المتولين للوظائف بمكة جانبك الثور السيفي كان أحد الطبلخانات، وتولى إمرة الترك بمكة ونيابة جدة (ت٨٤١هـ/١٤٣٣م)[٣]. وبردبك التاجي الأشرفي برسباي أحد أمراء العشرات جاءه مرسوم في سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م بأن يكون مشداً بجدة مع جانبك، ولما انقضى موسم جدة سافر إلى القاهرة، كما تولى نظر المسجد الحرام والحسبة، كما كان باش الأتراك المقيمين بمكة[٤]. وجاني بك الظاهري جقمق الجركسي الذي لازال يترقى في المناصب حتى صار من أمراء الطبلخانات، كما تولى وظيفة شاد جدة مع ما بيده من النظر والحسبة وإمرة الترك المقيمين بمكة[٥]، ونكار الخاصكي الذي استقر في شادية جدة سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م، ويذكر الدكتور علي السيد أن هذا الأمير كان من طبقة الخاصكية[٦] المقربة جداً من السلاطين والمخصوصة

١ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢،ص٤٠٨

٢ ابن فهد: بلوغ القرى، ج٣،ص١٤٩٢

٣ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣،ص٥٦

٤ ابن فهد: الدر الكمين،ص٦٤٤،السخاوي: الضوء اللامع،ج٣،ص٦،ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٣١٩

٥ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٣٢٤

٦ الخاصكية: جمع لمصطلح خاصكي وهو مصطلح مركب من لفظين الأول عربي والثاني فارسي، والخاصكية فئة من المماليك السلطانية يختارها السلطان عند توليه الحكم، تكون بمثابة فرقة خاصة به يكلفها بمهام معينة، وتتمتع هذه الفرقة بأوضاع خاصة ليست لغيرهم، مثل ملازمة السلطان في مواكبة وأسفاره ودخولهم عليه في أوقات خلواته، وقد نالوا الترقية السريعة في رتب الجيش وحصلوا على أفضل المخصصات النقدية والعينية، وقد اختلفت أعدادهم من فترة إلى =

بهم، وربما كان السبب في ذلك حرص السلاطين على أن تكون كل صغيرة وكبيرة في جمارك جدة في يد أتباعهم المخلصين.[1]وسودون المحمدي كان أحد العشرات ولي نظر الحرمين الشريفين وعمارتهما؛ فضلاً عن إمرة الراكز[2]. ومن الأمراء العسكريين من تولى الجانب المعماري؛ كسنقر الجمالي الذي ترقى حتى عمل في الشادية على عمائر السلطان بمكة المكرمة والمدينة المنورة[3]، وفي بعض الأحيان كانت تسند للحامية المملوكية الحسبة والنظر على المسجد الحرام والأوقاف، وممن تولاها مجتمعة الأمير بيكبه في سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م[4]، والأمير خاير بك الذي تولى إمرة المماليك عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م؛ بالإضافة إلى توليه الحسبة والنظر على المدرسة الأشرفية وأوقافها[5]. ومن العسكريين الذين تولوا الوظائف في مكة قرقماس الشعباني الذي يعد أول أمير راكز يصل إلى مكة بقواته ويقيم بها، ويطلق عليه اسم أمير الترك الركزين وذلك في سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م[6]. وجاني بك النوروزي أمير الترك الراكزين بمكة[7]، كما تولى عدد من الأمراء الأتراك وظيفة الحسبة، ومنهم طوغان شيخ الذي قدم مع الحاج المصري سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م ناظراً للحرم ومحتسباً بمكة، كما تولى إمرة الراكز

=أخرى خلال العصر المملوكي تبعاً لرغبة السلاطين المماليك بتكوين هذه الفئة من المماليك، محمد العمايرة: المعجم العسكري، ص١١٠، ١١١

١ علي السيد: الحياة الاقتصادية، ص٨١

٢ ابن فهد: الدر الكمين، ص٧٦٢،السخاوي: الضوء اللامع،ج٣،ص٢٨٥

٣ ابن فهد: إتحاف الورى،ج٤،ص٦٣٨،السخاوي: الضوء اللامع،ج٣،ص٢٧٣

٤ (ابن فهد، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ،ج٣،ص١٤٤): غاية المرام ،ابن فهد: بلوغ القرى،ج٣،ص١٢٧٥

٥ ابن فهد: بلوغ القرى،ج٢،ص١٧١٠،الشهري، شريع.(١٤٣١هـ/٢٠٠٩م)"الحياة الاجتماعية في مكة في عهد المماليك الجراكسة ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك خالد ، أبها، المملكة العربية السعودية، ص١٠٨

٦ الفاسي: العقد الثمين،ج١،ص٢٠٣،(المقريزي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٧،ص٩٢): السلوك

٧ جاني بك النوروزي هو نوروز الحافظي نائب دمشق ويعرف بنائب بعلبك ،صار بعد استاذة المؤيد، ثم عمل بعده خاصكياً إلى أن أمرة الظاهر جقمق عشرة وصار من رؤوس النواب، ثم جهزه للمدينة المنورة لقمع المفسدين بها ،ثم رجع إلى مصر إلى أن أرسله إلى مكة أمير الترك بها فأقام بها مدة ،توفي في صفر سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م، السخاوي: الضوء اللامع،ج٣،ص٦١

بمكة(ت٨٨١هـ/١٤٧٦م)[١]. ومغلباي الأحمدي الأشرفي برسباي أحد أمراء العشرات الذي كان باشاً عقب طوغان شيخ، كما تولى الحسبة بمكة المكرمة عوضاً عن الشريف محمد بن بركات[٢]، وفي سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م وصل مع الحاج الأمير قاني باي اليوسفي متولياً باش الترك والحسبة بمكة عوضاً عن مغلباي[٣]. وشاهين الجمالي الذي ترقى إلى أن عمل في شادية جدة، كما وصل مباشراً لجدة سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م[٤]، كما عين مباشراً بجدة -أيضاً- في سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧م[٥]. وقانصوه الجوشن كان من أمراء العشرات، وفي سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م جاء مرسوم سلطاني لقانصوه بالباشية والحسبة[٦]، وفي سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م خلع السلطان قانصوه الغوري على شخص من أمراء العشرات وهو بيبردي الشركسي وقرره باشاً للمجاورين بمكة، وخلع على شخص من أمراء العشرات الرؤوس النواب يقال له: قراكز الحكم، وقرره في نظر الحسبة الشريفة بمكة [٧].

أما عن كيفية التعيين للعسّكريين في الوظائف بمكة المكرمة فقد كان يتم بمرسوم سلطاني يتوجه به صاحب الوظيفة إلى مكة المكرمة هو وقواته المصاحبة له، وعند وصوله يطوف ويسعى، ويبيت بالزاهر، وفي الصباح يخرج الشريف لاستقباله، ثم يُلبس صاحب الوظيفة خلعه للشريف وولده، أو من معه من كبار الموظفين كالباش وغيره[٨]، ثم يقرأ مرسوم التعيين في المسجد الحرام في الحطيم بحضور القضاة والأعيان[٩]، ويكون المرسوم متضمناً خلعه للشريف

١ (ابن فهد، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ،ج٣،ص٩٨): غاية المرام، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٣٣٢،السخاوي:الضوء اللامع، ج٤،ص١٠

٢ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠،ص١٦٤،ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٤٨٥

٣ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٦٣٨،الفاسي: غاية المرام، ج٢،ص٥١٦،ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣،ص١١٤

٤ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٤٨٣

٥ ابن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص٤٧٤

٦ الفاسي: غاية المرام، ج٣،ص٩٧، ٩٨

٧ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤،ص٤٥٥،فاطمة الكثيري: الوظائف السياسية والإدارية،ص١١٦

٨ ابن فهد: غاية المرام ،ج٢،ص٥٤٨، ٥٧١،٥٦٧،ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص١٢٨، ٦٠٣

٩ ابن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص٦٤٧،ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٦١٦، ٦١٩

والقاضي، والإخبار بتولية صاحب الوظيفة والمهام المكلف بها والتوصية عليه، وغالباً ما كان هؤلاء العسكريون يجمعون بين عدد من الوظائف، فقد كان يتضمن مرسوم صاحب وظيفة الأمير الراكز أو باش الترك خلعة للشريف والقاضي، والإخبار بوصول الأمير الراكز والتوصية عليه ومن ذلك في سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م وصل مرسوم لباش الترك قاني باي وفي مرسوم الشريف الثناء على باش الترك قاني باي، وأنه من المقربين عندنا[١]، ومن ذلك ما ورد في مرسوم المتولي لوظيفة نائب جدة أو ناظر جدة في سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٦م خلع للشريف وولده، وفي مرسوم الشريف والقاضي الشافعي التوصية على نائب جدة، وكذا في مرسوم سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٣م جاءت مراسيم بوصول نائب جدة والتوصية عليه،[٢]ومن أمثلة هذه التوصيات ما كان في سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م من التوصية بنائب جدة والسند معه على ما يريده، وكلٌّ منهم يبسط يده بالعدل والأمان[٣]، وكذا في سنة ٩٠٠هـ /١٤٩٤م قرئت أربعة مراسيم، وكان من ضمنها الإخبار بإرسال نائب جدة، ومعاضدته ومناصرته[٤]. وفي سنة ٩٠٢ هـ /١٤٩٦م قرئ ثلاثة مراسيم من ضمن ما جاء فيها التعريف بتعيين نائب جدة ووظائفه من نيابة جدة ونظرها وجميع وظائفها ماعدا الصيرفة، والمقصود مساعدته في جميع مآربه أو فيما ما يريد السلطان[٥]، وكذلك الحال في وظيفة شاد العمائر يتوجه بمرسوم تعيينه لشريف مكة؛ حيث يتضمن المرسوم –غالباً– الأخبار بتعيين شاد العمائر، والمهام المكلف بها، وخلعاً للشريف والقاضي، والتوصية عليه في بعض المراسيم[٦]، وكذلك الحال في باقي الوظائف التي تولاها العسكريون المماليك، كما كانت تصل المراسيم للعسكريين المماليك أثناء وجودهم في مكة

١ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٦٠٢
٢ ابن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص٤٤٣
٣ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٦٢٢
٤ ابن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص٥٠٥
٥ ابن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص٦٤٤
٦ ابن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص١٧٢

بإضافة وظائف لهم كما في سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م قُرأ مثال[١] لناظر المسجد الحرام جاني بك أن يكون مشداً بجدة مع ما بيده من النظر والحسبة وإمرة الترك المقيمين بمكة[٢]. وفي سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م وصل مرسوم بأن الأمير مغلباي باشاً للترك الراكزين عوضاً عن الأمير طوغان الشيخ، وطوغان يتوجه إلى المدينة المنورة باشاً على الترك المتوجهين إليها، ومحتسباً بمكة المكرمة عوضاً عن السيد الشريف محمد بن بركات[٣]، كما تتضمن المراسيم إقرارهم على وظائفهم كما في سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م حيث وصل مرسوم لباش الترك مغلباي الأشرفي بأنه على ولايته وعلى حسبة مكة المكرمة[٤]، كما قد تتضمن المراسيم العزل لصاحب الوظيفة كما في سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م عندما وصل مرسوم من ضمن ما ورد فيه عن الأمير الراكز أنه بلغ السلطان أن الأمير الراكز بمكة قجماس الأشرفي يتعاطى أموراً كثيرة لا تليق به؛ فرسم بعزله من إمرة الباش بمكة المكرمة، وأن يصير واحداً من الأجناد، وأنه جعل باشاً عوضاً عنه[٥].

أما الطبقة الثّانية من العسّكريين وهم الأجناد فإنه على الرغم من اعتماد أشراف مكة على قواتهم الحربية المحلية؛ فإننا نجد من خلال المصادر أنهم لجؤوا إلى إحضار قوات حربية من الخارج تكون موالية لهم، وتحت إمرتهم، وتحقق مصالحهم[٦]، وكان الترك جزءاً رئيسياً من قوة الشريف أمير مكة العسكرية، وكانوا يأتمرون بأمره، ويخوضون معه الحروب الطاحنة [٧]؛ فقد كان

١ المثال هو أمر دون الفرمان والمنشور، وكان المثال في العصر المملوكي أمراً يصدر عن ديوان الجيش بمنح أقطاع أو بتحويله أو بإعادته أو بزيادته، محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١٣٥

٢ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٣٢٤

٣ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٤٨٤

٤ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٥٣٧

٥ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٤٢٩

٦ ليلى عبد المجيد: القوات الحربية في مكة،ص٤٣

٧ عدنان الشريف: أتراك الشريف ،ص٥

يرافق شريف مكة حسن بن عجلان[١] في إحدى غزواته سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م ألف ومئتا رجل من التّرك والعبيد والمولدين وأهل مكة والأعراب،[٢] كما نجد أن أشراف مكة كانوا يحضرون قوات حربية من مصر تتكون من المماليك الأجناد، ومن ذلك لما فوض السلطان الظاهر برقوق إلى الشريف علي بن عجلان إمرة مكة عام ٧٩٤هـ/١٣٩١م أعطاه أربعين فرساً، وعشرة مماليك، ومائة من الغلمان الترك، ومائة من الخيل[٣]. ولما تولى علي بن عنان بن مغامس[٤] إمرة مكة سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م أعطاه السلطان الأشرف برسباي عسكراً جراراً وصل به إلى مكة[٥]، كما أرسل السلطان قانصوه الغوري إلى الشريف بركات عشرة مماليك، وخمسين قواساً إلى مكة ليستعين بهم على حفظ الأمن بالإمارة وذلك عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م[٦]. وعندما احتاج حسن بن عجلان إلى قوات حربية يستعين بها ضد الخارجين عليه أحضر عام ٧٩٨هـ/١٣٩٥م من مصر مائة وثلاثين من الترك، ومن الخيل تسعون فرساً[٧]، وقد يرسل شريف مكة من يشتري له الأجناد كما حدث في عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م عندما أرسل الشريف حسن بن عجلان إلى مصر قائده سعيد جبروه لشراء مماليك ترك، فوصل إليه في الموسم بجماعة من الترك[٨]. ويمكن تلخيص مهام هؤلاء الأجناد في المساهمة في حفظ الأمن بمكة

---

١ حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي، أمير مكة المكرمة، يلقب بدر الدين، ولي إمرة مكة من غير شريك سنة وتسعة أشهر، ووليها سنة وسبعة أشهر شريكاً لأبنه بركات، توفي بالقاهرة في جمادى الأخرة سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م، (ابن تغري،١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج١،ص٢٦٤): الدليل الشافي

٢ ابن فهد: إتحاف الورى،ج٣،ص٤٠٠،عدنان الشريف: الأمير الراكز،ص٥

٣ ابن فهد: إتحاف الورى،ج٣،ص٣٨٤

٤ علي بن عنان بن مغامس بن رُميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسيني المكي، علاء الدين أبو الحسن، أمير مكة المكرمة، توفي ثالث جمادى الأخرة سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، وكان مشهور بجميل المحاضرة، ومعرفة الأدب، ولين الجانب، ابن فهد: غاية المرام،ج٢،ص ٤٨٤، ٤٨٦

٥ ابن فهد إتحاف الورى،ج٣،ص٦٠٥،(ليلى،٢٠١٠م، ص ٤٧):القوات الحربية في مكة.

٦ ابن فهد: غاية المرام،ج٣،ص١١١

٧ ابن فهد: إتحاف الورى،ج٣،ص٣٩٨،ليلى عبد المجيد: القوات الحربية في مكة،ص٤٤

٨ ابن فهد: إتحاف الورى،ج٣،ص٤٢٢

المكرمة، والمشاركة مع الشريف في حروبه مع الأشراف أو الخارجين عليه؛ فضلاً عن ذلك فقد كان هؤلاء الأتراك يتولون حراسة الشريف، ويحيطون به أثناء تحركاته، ويقبضون على من يأمرهم بالقبض عليه[١].

أما عن عدد هؤلاء الأتراك أو الأجناد فإنهم في الغالب كان عددهم يصل إلى الخمسين مملوكاً ما بين شراء ومستخدمين[٢]، فعندما قدم الشريف حسن بن عجلان من مصر ومعه مرسوم استمرار أخيه الشريف علي في إمارة مكة المكرمة سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م كان برفقته خمسون فارساً من الترك استخدمهم لخدمة أخيه[٣]. وفي سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م بعث السيد بركات الشريف مباركاً أبا عفيف إلى السلطان يطلب من عسكراً فوصل العسكر قدر خمسين فارساً،[٤]ولم يكن العدد خمسين ثابتاً في كل الأحوال؛ إذ إنهم كانوا –أحياناً– أقل من ذلك مثلما حدث في سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م عندما قدم من مصر ثلاثون مملوكاً تركياً استخدمهم في جنده الشريف أبو القاسم بن حسن بن عجلان[٥]أمير مكة[٦]، وقد يتجاوز عدد هؤلاء الأتراك المائة أحياناً، ومن ذلك ما تذكره بعض المصادر في سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٦م من وصول محمد بن عطيفة [٧]من مصر متولياً إمرة مكة

١ (الشريف، عدنان." أتراك الشريف بمكة المكرمة من مطلع القرن ٨هـ/١٤م حتى نهاية القرن ١٠هـ/١٦م"،ص٦

٢ عدنان الشريف: أتراك الشريف ،ص٧

٣ ابن فهد: إتحاف الورى،ج٤،ص٢٢٧

٤ الفاسي: غاية المرام،ج٢،ص٤٠١

٥ أبو القاسم بن حسن بن عجلان بن رُميثة الحسيني المكي، تولى إمارة مكة وقتاً ،وقدم القاهرة صحبة الحاج سنة٨٥٣هـ/١٤٤٩م، للسعي في العودة إليها ،فلم يلبث أن طُعن ومات في صفر من السنة نفسها، السخاوي: الضوء اللامع،ج١١،ص١٣٤

٦ ابن فهد: إتحاف الورى،ج٣،ص٣٩٨

٧ محمد بن عطيفة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مُطاعن بن عبد الكريم الحسني المكي ،أمير مكة، وليها بعد عزل ابنا عمه :عجلان ،وثقبة، ابنا رميثة، ويقال أن ولاية مكة عرضت عليه بمفرده، فأبى إلا أن يليها شريكاً لبعض أولاد رميثة، توفي سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م،وكانت ولايته سنة ونصف، (الفاسي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، ،ج٢،ص ١٤٢): العقد الثمين

شريكاً لابن عمه سند بن رُميثة ومعه عسكر مكون من مائتي مملوك، ومعهم تسعون فرساً[١]، كما كان عدد هؤلاء الأتراك في سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م يتراوح ما بين سبعين ومائة وثلاثين تركياً[٢]، وكذا في أحداث سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م كان عددهم يصل أحياناً إلى مائة وعشرين مملوكاً تركياً[٣].

وقد تمتع العسكريون المماليك الذين تولوا الوظائف بمكة بمكانة اجتماعية في المجتمع المكي؛ فكان الأمراء العسكريون يحضرون قراءة المراسيم، وتصلهم المراسيم بإقرارهم أو عزلهم أو المهام التي يكلفون بها[٤]، وكان الشريف يخرج لاستقبالهم، وكانوا يخلعون على الأمير عند خروجه لاستقبالهم، وعلى ولده وعلى قاضي القضاة الشافعي[٥]، وكذلك الحال بالنسبة للباش والمحتسب وناظر جدة حيث يكونون في استقبال الشريف عند قدومه، كما في عام ٩٢١هـ/١٥١٥م كان الباش والمحتسب وناظر جدة والقضاة والنواب والمباشرين ممن خرجوا لملاقاة أمير مكة والسلام عليه[٦]، كما شارك بعض العسكريين المماليك من أصحاب الوظائف في بعض المهام التي تدل على مكانتهم الاجتماعية من ذلك المشاركة في غسل الكعبة؛ فقد شارك الأمير الراكز في غسل الكعبة في سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، وذلك عندما أمر السلطان قايتباي بغسل الكعبة من داخلها بقدر قامة؛ حيث شارك قاضي القضاة، والأمير الراكز، وجماعة من الشيبين، وعدد من أعيان مكة المكرمة في غسل أرضها قدر قامة[٧]، كما كان من مهام الأمراء العسكريين كالأمير الراكز –أحياناً– الخروج من مكة المكرمة للقاء الأمراء في موسم الحج، وقد فعل ذلك الأمير مغلباي عندما خرج للقاء المنصور

١ الفاسي: العقد الثمين ،ج٢،ص١٤٢،ابن فهد: غاية المرام ،ج٢،ص١٤٧
٢ ابن فهد: إتحاف الورى،ج٣،ص٥٣١
٣ ابن فهد: إتحاف الورى،ج٣،ص٣٥١
٤ ابن فهد: أتحاف الورى،ج٤،ص ٤٨٤
٥ ابن فهد: غاية المرام،ج٣،ص٣٣٣
٦ ابن فهد: غاية المرام،ج٣،ص٣٢٠
٧ ابن فهد: إتحاف الورى،ج٤،ص٦٢١

عثمان بن الظاهر جقمق[١]، كما أسندت لهؤلاء الأمراء بعض الوظائف ذات العلاقة بالحياة الاجتماعية مثل تولي الصدقات وتوزيعها، ومن ذلك ما كان في سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م حيث أسند لباش الترك توزيع بعض الصدقات، وذلك عندما وصلت صدقة كثيرة لتفرق في المسجد الحرام فتولى تفريقها الأمير تغري برمنش باش الترك المقيمين بمكة المكرمة[٢]. ومن المهام الاجتماعية التي أسندت إليهم –أيضاً– العناية بشؤون الحجاج ومرافقهم، وتولي وظيفة الحسبة في مكة[٣]؛ هذا وإن من الأحداث الدالة على مدى مكانة الأمراء العسكريين في مكة ما كان في سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م عندما قبض الشريف أبو القاسم على ولده الشريف زاهر[٤]، وقدم به مكة وسلمه لأمير الترك الراكزين بمكة كُزل المعلم[٥]، وذلك بسبب أذيته للرعية، وبعد سعي من الأشراف والقواد عند الشريف للرضى على ابنه أجاب إلى ذلك فحضر هو وأحد المشايخ وجماعة من الأشراف والقواد عند الأمير كُزل المعلم بمنزله، وحلف الأمير زاهر بالله العظيم على المصحف الشريف ألا يعود إلى التشويش على أحد من الناس. ونستنتج من ذلك مدى أهمية الأمير الراكز في ذلك الوقت حتى إن الصلح بين الشريف وولده تم في منزله[٦].

وقد تمتع العسّكريون المماليك ممن تولوا الوظائف بمكانة كبيرة ونفوذ لدى السلطة بمصر، وكذلك لدى الأشراف بمكة مكنتهم من المشاركة في مختلف النواحي في مكة؛ سواء الدينية، أو السّياسية، أو الاقتصادية، أو التجارية أو

١ عثمان بن جقمق المنصور الفخر أبو السعادات بن الظاهر أبي سعيد، استقر بعد أبيه في السلطنة، ولقب بالمنصور، توفي بدمياط سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٦م،السخاوي: الضوء اللامع،ج٥،ص١٢٧،فاطمة الكثيري: الوظائف السياسية والإدارية في مكة،ص١٢٧

٢ (النهرواني،،(د.ت)، ص٢٢٥): الإعلام

٣ شريع الشهري: الحياة الاجتماعية في مكة،ص١٠٧

٤ هو زاهر بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان بن رُميثة بن أبي نمي الحسيني، ممن له ذكر في أيام أبيه وسطوه وتجبر، إلى أن قيد أبوه ثم رضي عنه ومات بعد ذلك، السخاوي: الضوء اللامع،ج٣،ص٢٣٢

٥ كزل السودوني المعلم، عين أميراً للترك بمكة المكرمة سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م،وتوفي في سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م، السخاوي: الضوء اللامع،ج٦،ص٢٢٧

٦ ابن فهد: إتحاف الورى،ج٤،ص٢٤٣،فاطمة الكثيري: الوظائف السياسية والإدارية،ص٦٦

المعمارية، ففي الجانب الديني في سنة ٨٢٨هـ /١٤٢٤م أمر مقدم الترك الراكزين بمكة المكرمة الأمير قرقماس المؤذنين أن يصلوا على النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد أذان العشاء كل ليلة، وكان عادتهم قديماً أن يصلوا على النبي –صلى الله عليه وسلم– في أذان عشاء ليلة الجمعة خاصة، ثم أمر الظاهر برقوق في ذلك في أذان الظهر والعصر فكملها الأمير قرقماس في العشاء[١]، وما كان له أن يأمرهم لولا المكانة والنفوذ التي يتمتع بها، وكذا الأمير بردبك التاجي الأشرفي برسباي الذي أحدث بعض العادات الدينية في مكة مثل التهليل عقب الصلوات الخمس[٢].

أما في الشؤون السّياسية نجد أن من العسكريين المماليك ممن تولوا الوظائف في مكة أنهم كان يتمتعون بنفوذ ومكانة كبيرة لدى السلطة بمصر، وكذلك لدى الأشراف، ومما يدل على ذلك استعانة أحد الأشراف بشاد جدة جاني بك[٣]الذي كان يتولى كذلك النظر والحسبة وإمرة الترك المقيمين بمكة[٤] ليسأل له السلطان في أن يتولى ابنه إمرة مكة من بعده. وبناءً على رأي شاد جدة تمكن الشريف من الحصول على الإمارة لابنه في سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م، وذلك عندما تكلم السيد بركات[٥] مع مشد جدة الأمير جاني بك بأن يرسل للسلطان ويسأله في

١ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٦٢

٢ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٣١٩،ابن فهد: الدر الكمين،ص٦٤٣،السخاوي: الضوء اللامع، ج٣،ص٦

٣ جاني بك الظاهري جقمق الجركسي الدوادار شاد جدة ،تولى شادية جدة سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م، نهض بخبرته في الظلم ما لم يصل إليه من قبله، عاد بشيء كثير له وللسلطان فزاد عنده حضوه، وظهرت له كفاءته ولازال أمره في نمو وزياده وعظم حتى قيل له نائب جدة ، كما ولي إمرة الطلبخانات ،توفي مقتولاً سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٢م، السخاوي ،الضوء اللامع ،ج٣، ص٥٧

٤ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٣٢٤

٥ بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي، أمير مكة زين الدين أبو زهير بن أمير مكة ،نائب السلطة بالأقطار الحجاية، بدر الدين أبي المعالي ،ولي إمرة مكة من غير شريك بعد والده سته وعشرين سنة، توفي سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، ابن فهد: غاية المرام ،ج٢،ص ٣٩٢

ولاية إمرة مكة المكرمة لولده محمد بن بركات[1]، وبعد توجه جاني بك للقاهرة وصل قاصداً من الأمير جاني بك مشد جدة ومعه مرسوم وخلعه للسيد محمد بن بركات، ودعي لسيد محمد بن بركات على زمزم بعد صلاة المغرب من ليلة الأربعاء، ومن ضمن ما ورد في مرسوم تعيين الشريف محمد بن بركات الذي قرأ في المسجد الحرام بحضور القضاة والتجار والأعيان "أنه وردت إلينا كتب الأمير جاني بك مشد جدة بالثناء على المخدوم، وبلغنا توهن المخدوم وضعفه وقلة حركته..... " هذا يدل على مكانة شاد جدة حيث يُعيّن الشريف محمد بن بركات بناء على رأي شاد جدة وثنائه عليه[2]، كما أن من القضاة من بذل لشاد جدة جاني بك ليتسلم وظائف والده، ومن ذلك ما كان في سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م؛ حيث ألبس الأمير جاني بك القاضي محب الدين أحمد بن القاضي أبي السعادات بن ظهيرة خلعة لقضاء الشافعية بمكة المشرفة، وقُرئ توقيع لقضاء مكة عوضاً عن والده على ما كان عليه والده وهو مؤرخ بالتاسع عشر رجب، وذلك بعد أن بذل القاضي الشافعي للأمير جاني بك ألفي أشرفي وخمسمائة أشرفي[3]، وبلغ من مكانة أمير الترك أنه كان يتولى تعيين الشريف مؤقتاً حتى تصل الأوامر السلطانية بإقراره أو تولية غيره، ومن ذلك ما كان عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م عندما قتل الأتراك الشريف جازان[4] ويقال: إنه كان بمواطئة

١ محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن نمي محمد بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسني المالكي، أمير الحرمين الشريفين والحجاز قاطبة وحلى بن يعقوب بل وجازان فإنه أخذها، وصل قاصد من مصر سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، ومعه كتاب من السلطان إلى محمد بن بركات بالعزاء في والده وقرئ مرسومين أحدهما بولايته والثاني إلى القضاة والأمراء والمجاورين والأعيان بولاية السيد محمد بركات، توفي سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م،ابن فهد: غاية المرام،ج٢،ص٥٠٦

٢ ابن فهد :إتحاف الورى،ج٤،ص٣٤٦

٣ ابن فهد: إتحاف الورى،ج٤،ص٣٧١، ٣٧٢

٤ جازان بن محمد هو أحمد بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الملقب بالجازاني، تولى أمارة مكة بمساعدة القاضي أبي السعود بن ظهيرة، ثم ما لبث أن خلع و أعيدت إمرة مكة لأخية الشريف بركات، قتل في رجب سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م، على يد جماعة من الأتراك المماليك بمكة وهو يطوف عند باب الكعبة، ابن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٥٩٩، ج٣، ص١١٧، ١٣١

أخيه حميضة، وتولى حُميضة إمرة مكة المكرمة، وألبسة أمير الترك المقيمين بمكة خلعة الولاية حتى يأتي أمر السُلطان من مصر[١].

كما كان للأمراء العسكريين إسهاماتهم في الجانب المعماري في مكة المكرمة؛ ففي سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م قام الأمير بيرم خواجا ناظر المسجد الحرام ببناء سبيلٍ بالمعلاة، وبجواره حوض ينتفع بها الناس والبهائم على يمين الصاعد إلى المعابدة[٢، ٣] كما عمّر الناظر بيرم عين حنين وأصلح مجراها ورممها ترميماً محكماً، كما عمّر جانباً كبيراً من عين عرفة وعدة من البرك بأرض عرفات كانت الرياح قد طمتها بالتراب، فأخرج ذلك منها وعمّر ما كان فيها من الخراب، وأصلح وساق الماء من الآبار التي بقربها لشرب الحجاج[٤]، وكذا شاهين الجمالي اجتهد في جراء عين حنين، وله بالمدينة المنورة مأثر وقرب مع تجديد أماكن وأحياء أخرى[٥]، وقام ببعض أعمال العمارة في المسجد الحرام فجمع له بين العمارة وإمرة الراكز سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م؛ حيث صعد الباش إينال وبعض مماليكه وخدمه إلى سطح البيت الشريف وفك الميزاب الشريف من محله، وأُصلح وأعيد لخلل كان فيه.[٦]

هذا وقد ساءت سيرة الأمراء المماليك في مكة، ويدل على ذلك المراسيم السلطانية التي وردت لهم في سنة ٨٧١هـ /١٤٦٦م "أنه بلغنا أن الترك المقيمين بمكة المكرمة كثر شكوى الناس منهم، وأن الترك من عاد الضرر منه ينفى أو يرسل إلى الأبواب الشريفة محتفظاً به" [٧]، وكذا في سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م وصلت

---

١ ابن فهد: غاية المرام، ج٣،ص ١٦٦

٢ المعابدة: حي من مكة، وهو ما يعرف بالأبطح، والبنيان اليوم في الأبطح وجانبيه كل ذلك المعابدة، وهو يشمل أحياء كثيرة منها الجميزة والجعفرية وعدد من الأحياء، (البلادي، ١٤٣١هـ /٢٠٠٩م، ص١٦١٥): معجم معالم الحجاز.

٣ النهرواني: الإعلام، ص ٢٣٦

٤ النهرواني: الإعلام،ص٢٣٧،ابن فهد: الدر الكمين، ص٦٥٨،السخاوي: الضوء اللامع، ج٣،ص٢٢

٥ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣،ص ٢٩٣،ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣،ص٥٠٩

٦ ابن فهد :بلوغ القرى، ج٢،ص٥٦٧

٧ ابن فهد: أتحاف الورى، ج٤،ص٤٧٠

خمسة مراسيم من بينها مرسوم للباش الترك، فلم يقرأ له مرسوم؛ لأنه يقال: إن فيه إهانة للأتراك المقيمين بمكة المكرمة، وتهديداً لهم بسبب ظلمهم فما أحب سماعهم لذلك[1] كما أشار عبد العزيز بن فهد في أحداث سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م إلى قسوة ووحشية باش المماليك وقيامه بضرب أربعة حتى ماتوا؛ مما جعل شريف مكة يتدخل ويهدد بإخبار السلطان بما يفعله في مكة، ولخوفه من وصول الخبر للسلطان أرسل مملوكاً يعتذر عن فعلته[2]، ولم يكن سوئهم –فقط– مع طبقة العوام في المجتمع المكي؛ بل –أيضاً– مع طبقة الموظفين فقد رسم الأمير بيسق على القاضي الشافعي بمكة من غير موجب، وذلك لتخيل بيسق أنه جاء من مكة ليرافع فيه لما كان يفعله بمكة من الأمور الشاقة على الناس، كما ضرب بعض فقهاء الحرم وفراشيه وغيرهم من أهل مكة[3]، وتعدى الأمر إلى صدامات في بعض الأحيان بين الأمراء الترك وبين الأشراف منها قتل الأتراك للشريف جازان ٩٠٩هـ/١٥٠٣م[4]. ومن ذلك –أيضاً– ما كان في سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م حيث نقم الشريف حسن على الأمير بيسق بعض أوامره بمكة؛ لأن بيسقَ منع من الدعاء لصاحب اليمن على زمزم بعد المغرب، فأمر السيد حسن بالدعاء له وأُرسل مرسومان من صاحب مصر في أحدهما "ألّا يمنع من الدعاء بمكة لسلطان اليمن، وفي الآخر أن ليس لأحد من الأمراء الواصلين من مصر في أوساط السنة على صاحب مكة السيد حسن يد ولا حكم؛ بل يعضدونه، ويقوون كلمته، ويعلون شأنه، وإن لم يسمع الأمير وخالف وطلبكم القتال قاتلوه" وقرئ هذان المرسومان خلف المقام بحضرة القاضي عز الدين النويري وجماعة من أهل الحرم، ثم تنافرا بعد ذلك لأن الأمير بيسق كتب شفاعات لنفسه، وكتب فيها أنه أزال المنكر من مكة، فأخذ ذلك منه السيد حسن، وأخذ منه قفل باب الكعبة ومفتاحه، وكان الأمير بيسق لما أخذ ذلك عمل قفلاً ومفتاحاً عوض ذلك، وركبه في باب الكعبة وقت العصر من اليوم الثاني والعشرين من جمادى الأولى، وأعيد القفل القديم إلى الكعبة، وكان بيسق قد أمر

١ ابن فهد: أتحاف الورى، ج٤،ص٥٣٩
٢ ابن فهد: بلوغ القرى، ج٣،ص١٦٦٢،شريع الشهري: الحياة الاجتماعية بمكة،ص١١٠
٣ ابن فهد: غاية المرام، ج٢،ص٢٦٣،السخاوي: الضوء اللامع، ج٣،ص٢٢
٤ ابن فهد: غاية المرام، ج٣،ص ١٦٦

بسد الشبابيك التي بالجانب الغربي، فأذن الشريف حسن في فتحها، وكان أمر بنقل السوق من المسعى إلى سوق الليل[١]، فأمر الشريف حسن بإعادته إلى المسّعى[٢].

كما كان لهؤلاء العسّكريين أسوء الأثر على الجانب الاقتصادي، ويزداد هذا التأثير سلباً على الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة عندما تسند إليهم وظائف ذات علاقة بحياة أهل مكة مثل وظيفة الحسبة التي قد يستغلها البعض لصالحه، فيتعسف في جباية الضرائب والمكوس من التجار، أو يفرض ضرائب وإتاوات على التجار وغيرهم من أصحاب المهن، ومن ذلك تعسّف الأمير خاير بك في جباية الضرائب والمكوس من أهل مكة سنة ٩١٧هـ/١٥١١م؛ مما جعلهم يستجدون بشريف مكة الذي أمر منادياً أن ينادي بمكة بغلق الدكاكين ومنع البيع والشراء بها، ومن وقع عليه ظلم فعليه بالسيد بركات بن محمد بن بركات[٣]، كما تعسف أمير الحامية المملوكية في فرض بعض الإتاوات في شهر شعبان سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م، وهذه الإتاوات تختلف من شخص لآخر كل على حسب تجارته ومهنته .[٤]

أما عن مصادر دخل العسكريين في مكة أو مخصصاتهم فقد تمتع العسكريون –لاسيما أصحاب الوظائف العليا– بحياة الترف والرفاهية، وتعددت مصادر دخلهم منها ما كانت السلطة المملوكية تدفعه للأمراء العسكريين، وعادةً ما يكون إقطاع الواحد من هؤلاء الأمراء ما بين سبعة إلى عشرة آلاف دينار في السنة فما دون ذلك بقليل،[٥]كما كان بعض الأشراف يصرفون مرتبات لهؤلاء الأمراء، يتبين ذلك في سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م حيث قرئت أربعة مراسيم، كان الرابع منها لأمير الترك يخبر بوصول كتابه إليهم بأن الشريف بركات يصرف

١ سوق الليل كان شرقي المسجد الحرام، وهو من أشهر أسواق مكة، ويباع فيه كل لوازم الحجاج، وبهذه السوق دار للحدادين، وسوق خاصة للفاكهة وأخرى للرطب، سعاد الحسن: النشاط التجاري بمكة، ص٢٧١

٢ ابن فهد: غاية المرام، ج٢،ص٢٦٢، ٢٦٤

٣ ابن فهد: بلوغ القرى، ج٣،ص١٧٨٩

٤ ابن فهد: بلوغ القرى، ج٣،ص١٣٨٥،شريع الشهري: الحياة الاجتماعية بمكة، ص١١١

٥ عدنان الشريف: الأمير الركز،ص٢٢٠

عليهم الجراية والعليق،[1] على أن الأشراف لم يكونوا ملزمين بدفع المرتبات للعسكريين، ويبدو ذلك من خلال المثال الذي وصل للشريف محمد بن بركات من القاهرة إلى مكة في ثاني عشر ربيع الأول سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م، وكان من ضمن ما ورد " أن الشريف لا يصرف لأمير الترك المقيمين بمكة جامكية[2] إلا باختياره فإنه لم يفعل ذلك إلا والده السيد بركات من تلقاء نفسه "[3]

ومن هؤلاء العسكريين من حقق الثراء من خلال وظيفته كنائب جدة جاني بك الذي استمر نائباً حوالي ثمان سنوات من سنة ٨٤٩هـ/١٤٨٨م إلى سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، وقد تميز بالمهارة والذكاء ورجاحة العقل والنفوذ والقوة، واستطاع أن يحقق أرباحاً طائلة عاد بها إلى السلطان مما زاده حظوة عنده[4]؛ هذا وقد أشارت المصادر لنمو ثروته بشكل كبير من جراء عمله بهذه الوظيفة، فذكر السخاوي" بأنه أُثري وحصل بالشراء وغيره من القرى والضياع بديار مصر وغيرها الكثير، وأنشأ التربة الجميلة خارج باب القرافة المشتملة على المدرسة والتصوف وكتاب الأيتام والحوض وغير ذلك، والبستان الهائل الفائق الوصف وما احتوى عليه من البحرة، وكذا القبتان والرصيف تجاههما الدال على علو همته، والبستان والسبيل ظاهر مكة قريباً من العسيلات بطريق منى وغير ذلك، وملك الأشرفية؛ فضلاً عن الظاهرية بالعطاء والبذل، وانقادت له العظماء، وانثالت عليه الأموال من كل وجه لاسيما من بلاد الحجاز؛ فهو المتصرف فيه بحيث كاتبه أكابر ملوك الهند وغيرها، وجلبوا إليه التحف.."[5]، كما كان من مصادر دخلهم ما يصلهم من بعض الصدقات التي تصل لمكة المكرمة التي قد يلح الأمير الراكز على القاضي أن يعطيه على الرغم من أن العسكريين لم يكونوا من ضمن من تشملهم هذه الصدقات، ومن ذلك عام ٩١٣هـ/١٥٠٨م

---

١ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٣٣٩

٢ الجامكية لفظ فارسي مشتق من جامه بمعنى اللباس، أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي، وقد ترد بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة، والجمع جامكيات وجوامك، وجماكي، محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية،ص٥١

٣ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٤٢٩

٤ محمد الفعر: مرسوم لنائب جدة، ص١١٢

٥ السخاوي: الضوء اللامع،ج٣،ص٥٧

حيث وردت صدقة لمكة ولم يقرر بها للأمير الراكز آنذاك جان بردي الذي خاطب القاضي المالكي وطلب منه إدراج اسمه في هذه الصدقات.[1] ومن هؤلاء العسكريين من طمع فيما جمعه من أموال العشور التي كلفته السلطة بجمعها، وتشير المصادر إلى أنه حدث في شهر جمادى الآخرة من عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م أيام السلطان جقمق أن هرب شاد جدة تمراز المعروف بالمصارع في مركب أعده للهند ومعه من مال السلطان خمسين ألف دينار أشرفي، وهو المال الذي جمعه من العشور، وحاول اللجوء للحبشة والهند، إلا أن التجار بهذه البلاد حثوا حكامهم على عدم التعاون معه؛ حرصاً على أموالهم التي بجدة، وخشية أن ينتقم منهم الشاد الجديد الذي عينه السلطان محل هذا الهارب.[2] ومن العسكريين من مكّنت له وظيفته ونفوذه أن يبذل له الناس الأموال للحصول على الوظائف، ومنهم جاني بك الذي بذل له القاضي الشافعي ألفي أشرفي وخمسمائة أشرفي مقابل أن يتولى ابنه ما كان له من وظائف؛[3] فضلاً عن ذلك أن من العسكريين من استغل توليه لبعض الوظائف لصالحه كوظيفة الحسبة فيتعسف في جباية المكوس والضرائب من التجار، أو يفرض إتاوات وضرائب على التجار وغيرهم من أصحاب المهن.[4]

١ ابن فهد: بلوغ القرى، ج٣،ص١٥٧١،عدنان الشريف: الأمير الراكز،ص٢٢١
٢ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٢٩٥،علي السيد: الحياة الاقتصادية، ص٦٠
٣ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤،ص٣٧١، ٣٧٢
٤ شريع الشهراني: الحياة الاجتماعية في مكة، ص١١١

الخاتمة

تناول هذا البحث وظائف العسكريين المماليك في مكة المكرمة في عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)، وقد شهدت مكة المكرمة التي كانت تابعة للمماليك في ذلك العصر إرسال السلطة بمصر للعسكريين لتولي الوظائف في مكة، ولم يقتصر دور هؤلاء العسكريين على تولّي الوظائف المتعلقة بالجانب الأمني؛ بل امتد ذلك إلى توليهم بعض الوظائف الدينية والإدارية، كما كان لازدهار ميناء جدة –الميناء الرئيس لمكة في تلك الفترة الذي حقق عوائد مالية للدولة المملوكية– أثره في حرص السلطة بمصر على أن تجمع لبعض العسكريين بمكة بين الوظائف العسكرية وبين الوظائف المتعلقة بالجانب التجاري بجدة، وكان الهدف من تعيّين السُلطة للعسكريين في الوظائف المختلفة في مكة المكرمة حفظ الأمن والاستقرار بها والدفاع عنها، وتأكيد نفوذها وسلطتها. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:

- بينت الدراسة أن مكة المكرمة التي كانت تابعة للمماليك قد شهدت إرسال السلطة بمصر للعسكريين لتولي الوظائف فيها، ولم يقتصر دور هؤلاء العسكريين على تولي الوظائف المتعلقة بالجانب الأمني؛ بل امتد ذلك إلى توليهم بعض الوظائف الدينية والإدارية والمعمارية والتجارية.
- أن لازدهار ميناء جدة –الميناء الرئيس لمكة في تلك الفترة الذي حقق عوائد مالية للدولة المملوكية– أثره في حرص السُلطة بمصر على تعيين العسكريين في الوظائف المختلفة في مكة المكرمة لحفظ الأمن والاستقرار بها والدفاع عنها، وتأكيد نفوذها وسلطتها.
- أن العسكريين المماليك الواصلين للمكة على فئتين؛ أمراء على مراتب مختلفة: أمراء مئين مقدمو الألوف، وأمراء طبلخانات، وأمراء عشرات، وأمراء خمسات؛ أما الفئة الثانية فكانت من الأجناد.
- أن التعيين أو العزل أو الإقرار للعسكريين في الوظائف بمكة المكرمة يتم بمرسوم سُلطاني يتوجه به صاحب الوظيفة إلى مكة المكرمة هو وقواته

المصاحبة له، ويقرأ مرسوم التعيين في المسجد الحرام في الحطيم بحضور القضاة والأعيان.

- بينت الدراسة ما تمتع به العسكريون المماليك الذين تولوا الوظائف بمكة من مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع المكي؛ فكان الأمراء العسكريون يحضرون قراءة المراسيم، وتصلهم المراسيم بإقرارهم أو عزلهم أو المهام التي يكلفون بها، وكان الشريف يخرج لاستقبالهم عند وصولهم مكة، وفضلاً عن ذلك كانت تُسند لبعض أصحاب الوظائف بعض المهام التي تدل على مكانتهم الاجتماعية، ومن ذلك المشاركة في غسل الكعبة، أو الخروج من مكة المكرمة للقاء الأمراء في موسم الحج، وتولي الصدقات وتوزيعها، والعناية بشؤون الحجاج ومرافقهم، وتولي وظيفة الحسبة في مكة .
- توضيح الدور الفاعل للعسكريين المماليك ممن تولوا الوظائف في مختلف النواحي بمكة؛ سواء السياسية، أو الإدارية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية.
- أن المهمة الرئيسية للأجّناد هي الإسهام في حفظ الأمن، والمشاركة مع الشريف في حروبه مع الأشراف وضد الخارجين عليه.
- تأثير العسكريين المماليك لم يكن دائماً ايجابياً وفي صالح أهل مكة؛ بل ساءت سيرة البعض منهم، وكثرت شكاوى الناس منهم، وعانوا من ظلمهم وجورهم.
- كما بينت الدراسة ما كان يتمتع به هؤلاء العسكريون من ترف ورفاهية وتنوع مصادر دخلهم.

المصادر والمراجع:

- ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ /١٥٢٣م): ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م. بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- إسرائليان، أرتور،(د.ت). وظائف العسكرية بمصر في العصور الوسطى،(د.ط)
- الباشا، حسن، (د.ت). الفنون الإسلامية والوظائف على الأثار العربية، دار النهضة العربية،(د.ط).
- باز، عبد الكريم، (١٤١١هـ/١٩٩٠م). ناظر الحرم في العصر المملوكي، مجلة جامعة أم القرى، السنة الثالثة، العدد الخامس.
- البلادي، عاتق بن غيث،(١٤٣١هـ /٢٠٠٩م). معجم معالم الحجاز، ط٢، دار مكة للنشر والتوزيع.
- الجوعاني: محمد نجيب: ضوابط التجارة في الاقتصاد الإسلامي،(د.ت)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحسن، سعاد إبراهيم. "النشاط التجاري في مكة المكرمة في العصر المملوكي"، رسالة ماجستير غير منشورة، كيلة الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- الخطيب، مصطفى عبد الكريم،١٤١٦هـ/١٩٩٦م. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- دهمان، محمد. (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر. دمشق.
- زناتي، أنور محمود.(١٤٣٣هـ/٢٠١١م). معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، ط١، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن.
- السالمي، عبد الحفيظ. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) "الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية
- السخاوي، محمد بن عبدالرحمن(ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، (١٤١٢هـ/١٩٩١م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١، دار الجيل، بيروت.

- السليمان، سلوى عبدالقادر.(١٤٣٢هـ/٢٠١٠م)، جدة في العصر المملوكي، ط١، النادي الأدبي الثقافي بجدة.
- السليمان، علي بن حسين، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م). العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- الشريف، عدنان محمد. (١٤٣٤هـ/٢٠١٢م). "وظيفة الأمير الراكز في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي"، مجلة جامعة أم القرى، العدد السابع والخمسون، جماد الأخرة.

أتراك الشريف بمكة المكرمة من مطلع القرن ٨هـ/١٤م حتى نهاية القرن ١٠هـ/١٦م.

- الشهراني، شريع سعيد.(١٤٣١هـ/٢٠٠٩م). " الحياة الاجتماعية في مكة في عهد المماليك الجراكسة ،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك خالد، أبها، المملكة العربية السعودية.
- الضيف، هند عبدالعزيز." (١٤٣٨هـ/٢٠١٦م). "أسواق الحجاز في العصر المملوكي"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- الطاسان، محمد. (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)."الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد دولة المماليك". مجلة العصور، المجلد الخامس، الجزء الثاني، ذو الحجة.
- عاشور، عبد الفتاح. ،(د.ت). الظاهر بيبرس، (د.ط). وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر.
- عبد المجيد، ليلى أمين. (١٤٣١هـ/٢٠٠٩م). التنظيمات الإدارية والمالية في مكة في العصر المملوكي. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

القوات الحربية في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي٥٧٠-٩١٣هـ/١١٧٤-١٤١٧م. ط١. مصر العربية للنشر والتوزيع. ٢٠١٠م.

- العمايرة، محمد عبدالله.(١٤٣٢م/٢٠١٠م.) المعجم العسكري المملوكي. دار كنوز المعرفة. عمان.
- ابن العماد، الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م). (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. حققه محمود الأرناؤوط ،ط١، دار ابن كثير، دمشق، سوريا.

- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م). (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م). العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين .تحقيق فؤاد سيد. ط٢. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان.
- الفعر، محمد بن فهد. "مرسوم لنائب جدة جاني بك المملوكي الجركسي مؤرخ بسنة ٨٦٣هـ منقوش بالحرم المكي".
- ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م).(١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى الجزء الثاني. تحقيق عليان بن عبد العالي بن عليان المحلبدي. الجزء الثالث، عبدالرحمن بن حسين بن عبدالرحمن أبو الخيور. غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم شلتوت، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مركز إحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة. ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- ابن فهد، عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد (٨٨٥هـ/١٤٨٠م): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت، حقوق الطبع محفوظة لجامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، الجزء الرابع تحقيق عبد الكريم علي باز، الطبعة الأولى، حقوق الطبع محفوظة لجامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق عبدالملك بن دهيش، ط١، دار خضر، بيروت ،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- القلقشندي، أبي العباس أحمد علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، (١٣٤٠هـ/١٩٢١م). صبح الأعشى. دار الكتب المصرية.
- قيسي، عائشة حسن. (١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م). " تجار الحجاز ودورهم في العصر المملوكي". رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب والعلوم الإنسانية. جامعة الملك عبد العزيز. جدة. المملكة العربية السعودية.
- الكثيري، فاطمة صالح.(١٤٣٧هـ/٢٠١٥م). "الوظائف السياسية والإدارية في مكة خلال العصر المملوكي". رسالة ماجستير. كلية الأداب والعلوم الإنسانية. جامعة الملك عبد العزيز. المملكة العربية السعودية.
- المباركي، فاطمة. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). "الوظائف في الحرم المكي في العصر المملوكي". رسالة ماجستير منشورة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية .

- أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م).(١٤٠٥هـ/١٩٨٤م). الدليل الشافي على المنهل الصافي، حققه فهيم محمد شلتوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث.
- مقابلة، حسن محمود. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). "الرسوليون والمماليك في الحجاز".رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة اليرموك، الأردن.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)،(١٤١٨هـ/١٩٩٧م). السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا.ط١.بيروت. دار الكتب العلمية.
- النهرواني، محمد بن أحمد بن محمد (ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م). (د.ت)الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق هشام عبدالعزيز. المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز. مكة المكرمة.